

الأعاصير



إن الكلام العام عن «حل سياسي» لا معنى له من دون مبادرة من الحزب (أ ف ب)

التي سهلت حملة الأنظمة الحليفة للعدو الإسرائيلي. صحيح انه ثبت بالقاطع ان العصابات المسلحة (المالية لقطر والسعودية وتركيا) في سوريا أثبتت انضواءها في منظومة حلفاء إسرائيل في المنطقة (قبل زيارة اللدواني إلى دولة العدو) لكن محاربة حلفاء إسرائيل يجب ان تكون من ضمن جبهة عريضة غير طائفية، وإلا التصقت الصفة الطائفية بالحزب، كما حدث في السنينتين الماضيتين.

ولقد فشل الحزب في وضع تصور معين ومحدد عن مستقبل سوريا. إن الكلام العام عن «حل سياسي» لا معنى له من دون مبادرة من الحزب لوضع تصور يمكن ان يكون له بعض التأثير في سلوك نظام لم يتوقف عن القمع بالرغم من الحرب المستمرة، لماذا لا يعقد الحزب لقاءات علنية مع أطراف في المعارضة لا تزال تؤيد مشروع المقاومة والتغيير غير الخليجي؟ ثم ان المواجهة المستمرة مع الخطر الداعشي (وهو خطر حقيقي لا يمكن التقليل من حجمه) أفقدت الحزب بعضاً من توازنه، حتى لا نقول صوابه. لم يوضح الحزب للساعة طبيعة علاقته مع النظام العراقي الطائفي والذي بالرغم من تحالفه مع النظام الإيراني - لم يقلل من ارتهائه للمحتل الأميركي. إن قرار إقصاء المالكي (على سؤته، أي على سوء الرجل) صدر من واشنطن وليس من بغداد، ولأسباب تتعلق باعتراض سعودي (غير علماني وغير سيادي وغير وطني). ما الذي يجمع بين حزب الله كحزب مقاوم يُعلن تحالفه مع حركات معارضة يسارية حول العالم، ونظام رجعي طائفي يرتهن بإشارة فقيه الاحتلال ومن ينتدبه للاحتلال نفسه؟ هل يمكن النظر إلى العلاقة من خارج منطوق التعاضد الطائفي؟ هل هناك معيار واحد يمكن على أساسه إدراج النظام العراقي في خانة المقاومة، أو حتى ما يُسمى بالممانعة (وهي صيغة تلائم النظام السوري لأنه لا يقاوم وتحجره صفة المقاومة)؟ لم يشرح الحزب لجمهوره طبيعة تلك العلاقة بعد.

أكثر من ذلك، هل استدرج الحزب من خلال الساحة السورية إلى المشاركة في حرب غربية خبيثة «ضد الإرهاب»؟ هل يثق الحزب بأي حرب «ضد الإرهاب» تصدر عن واشنطن؟ ولماذا لم يصدر بيان رسمي واحد عن الحزب يستنكر فيه حق واشنطن في شن أكثر من 160 غارة على العراق حتى الساعة؟ هل يختلف الحزب على ان أميركا لا تدخل حرباً ولا تقصف من دون أن تقتل مدنيين ومدنيين أبرياء؟ إن التساهل مع القصف الأميركي على العراق (وغداً مع سوريا) يمكن ان يؤدي إلى التساهل المستقبلي من قبل الرأي العام العربي إزاء حرب قد تختار واشنطن ان تشنها ضد حزب الله نفسه (وبالنيابة عن العدو الإسرائيلي) وتحت عنوان «الحرب ضد الإرهاب» نفسه؟ إن خطاب وتحالفات «الحرب ضد الإرهاب» من قبل الغرب لا يمكن ان تكون لا لصالح العرب أو المسلمين، ولا حتى لصالح الحرب الحقيقية ضد الإرهاب.

ثانياً: الوضع اللبناني

بقدر ما برع الحزب في المقاومة بقدر ما هو فاشل في الحسابات السياسية الداخلية. لا تلم الحزب إذا كان هو ينتقي أفراداً لمواقع سياسية رفيعة (مثل ميشال سليمان) ثم

بقدر ما برع الحزب في المقاومة بقدر ما هو فاشل في الحسابات الداخلية

ينقلبون عليه بفعل المال السعودي. لكن حسابات الحزب الداخلية باتت عبئاً عليه كحركة مقاومة: ليس هناك من رأسمال وطني في عالمنا العربي: من «البنك العربي» إلى نجيب ميقاتي، إن رأس المال العربي هو رجعي حكماً وأكثر تأثراً بالضغوطات الأميركية المباشرة وغير المباشرة. لكن الحزب أبعد نفسه عن الحركات اليسارية في لبنان وأبقى على سياساته الاقتصادية الرجعية. إن برنامج محمد فنيش في تخصيص كهرباء لبنان لم يحد عن رأسمالية الحريري الوحشية. إن انفصال الحزب عن الحركة المطلوبة الشعبية غير الطائفية يزيد في عزلته وقوقعته الطائفية التي فرضها أعداؤه عليه، وفرضها هو على نفسه بحم عقيدته

الدينية وتركيبته الاجتماعية. وماذا عن تنامي الاتهامات الشعبية لبعض عناصر أو قيادات حزب الله بالفساد؟ هل هناك تحقيق في الأمر أو محاسبة؟ وهل المحاسبة علنية أم سرية؟ هل من حق جمهور الحزب ان يعرف ذلك، أم لا؟

لكن وضع الحزب في التركيبة السياسية اللبنانية بات متطابقاً مع التجربة السياسية (الطائفية حتماً) لحركة «أمل». كما ان تحالفات الحزب لم تخرج عن نطاق التحالفات الطائفية من حلفه مع «التيار الوطني الحر» (ومن دون حرص على تطبيق ما اتفق عليه، وبصرف النظر عن صوابية الاتفاق الذي لحظ رافة مع إرهابيي جيش لحد)، إلى تحالفه المستمر مع وليد جنبلاط بالرغم من ارتكابات الـ«ويكيليكس» التي لا تُغتفر. من حق جمهور حزب الله ومن حق أنصار المقاومة بصورة عامة ان يسألوا لماذا تزيد لقاءات نصرالله مع جنبلاط عن لقاءاته، مثلاً، مع سليم الحص الذي لم يناور ولم يبع مواقفه والذي لم يجد عن خط المقاومة. هذه من جملة الأسئلة

المشروعة عن الدور السياسي للحزب. ولم تكن تجربة الحزب في الحكومات المتعاقبة ناجحة، ولم تترك أثراً إيجابياً. ألم يكن أفضل لحركة المقاومة لو استمرت في النأي بنفسها عن تجربة الانتساح في السلطة في لبنان؟ هل كان إقحام الحزب في الحكومات اللبنانية بعد اغتيال الحريري فتحاً غريباً مقصوداً بهدف إرباك الحزب وإبعاده من الهالة القدسية التي أحاطت بتجربته في المقاومة الصرفة في حقبة حسن نصرالله؟

ثالثاً: فلسطين

يطغى موضوع فلسطين على كل ما عداه عند الحزب، وهذا أفضل ما في حزب الله. إن عقيدة الحزب الصلدة في مواجهة العدو الإسرائيلي والحزم في الرد على اعتداءات العدو في لبنان في العام الحالي لا يدعا مجالاً للشك في قدرة الحزب على المواجهة الفعالة ضد العدو. إن سلوك المقاومة في غزة مدين بالكثير للحزب، ولا ينفع جحود خالد مشعل في إنكار ذلك. للحزب هدف تحرير فلسطين والدفاع عن لبنان. لن يدافع عن لبنان إلا متطوعو الحزب، وأداء الجيش اللبناني في عرسال لم ينقذ سمعة بُنيت على أكل الأفاعي. والذين فشلوا في ردّ عصابات «النصرة» و«داعش» في عرسال لا يمكن لهم الركون إليهم في مواجهة أعنى جيوش المنطقة وأكثرها وحشية، قارنوا بين صورة جنود الجيش في الأسر وصور مقاتلي حزب الله الأشداء في الأسر الإسرائيلي. هي الفيلص بين المقاومة وبين العجز والإستكانة.

إن الحرص على المقاومة ليس ملك جمهور حزب الله وحده، وليس ملك طائفة. لم تكن المقاومة الفلسطينية طائفة، كما كان العظيم جورج حبش يردد في خطبه عشية الحرب الأهلية عام 1975، ولا يمكن تحويل المقاومة في لبنان إلى طائفة، كما يريد آل سعود وصحبهم في معسكر النفط والغاز.

يُسجل للحزب انه بالرغم من الحملة الظالمية التي يتعرض لها، وبالرغم من اتهامات تطاوله وهو غير مسؤول عنها (كأن تكتب مقالات عن طائفية بناءً على تعليق لأحدهم على «فايسبوك» ثم يُحمل الحزب المسؤولية أو عبر التعميمات التي يُتهم الحزب بها لأن فلاناً من «بيئة المقاومة»، وهذا هو الاسم الحركي للشبيعة في إعلام النفط والغاز الطائفي)، لم ينجر إلى الخطاب الطائفي لا بل ومنع قياداته من الإنجرار إلى الرد على الخطاب الطائفي (هو فعل أكثر من ذلك: منع نوابه ووزراءه من الكلام المباح لكن هذا لم يمنع إعلام الغرب وإعلام قطر والسعودية من نحل الكلام وعزوه إلى «مصادر قريبة من الحزب» أو إلى «قيادي في حزب الله»، الخ). لكن كل هذا لا يكفي.

إن مشروع المقاومة مُعرض للخطر. والخطر الداهم يأتي من أكثر من طرف، ولبلبوس طائفي وليبرالي وصهيوني مع ان المشغل واحد. إن قدرة الحزب على الاستمرار في المقاومة يرتبط بمدى نجاح الحزب عن عزل نفسه عن بيئة لبنان الطائفية وعن اللعبة السياسية برمتها، وعن الحروب المذهبية في المنطقة. كما ان الحزب لا يمكن له ان يستمر في سياسة التدخل في سوريا من دون قياس الربح والخسارة على مشروع المقاومة. ماذا لو ربح الحزب نظاماً وخسر مقاومة؟

* كاتب عربي (موقع على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

السلام ومن أبرع الإعلام في زمن الحرب، هو إعلام حربي فقط. إن الصمت والشلل المقصود الذي يشوب الإصدار السياسي للحزب يمدد الأعداء بمعين هائل من التكرار الدعاوي المضاد، كما انه يسمح لإعلام النفط والغاز بنسب أقوال (مختلقة من أساسها) جدّ مضرة بالحزب وسمعته إلى «قياديين في الحزب» أو «أشخاص قريبين من الحزب» أو إلى «كاتب قريب من حزب الله على فايسبوك». لا تعلم قيادة الحزب ان غياب الرد يعني ان العدو أو الخصم يحتكر الساحة الإعلامية، هو إعلان فوز الخصم بالمنظرة بسبب غياب الملائك.

نجح الحزب في تصوير الخطر الذي يهدد لبنان من العصابات المسلحة في سوريا، كما أنه نجح في تقديم الحجج عن ضرورة حماية قرى حدودية. هذه الحجج أثبتت جدواها في الأشهر الماضية خصوصاً بعد أن كشف الحزب عن مخطط التفجير الإرهابي الطائفي الذي قاده العصابات المسلحة في سوريا. إن القضاء على مصانع السيارات المفخخة في القلمون وعزل العصابات المسلحة عن الحدود اللبنانية ساهم في إقناع جزء من اللبنانيين بجدوى تدخل الحزب في سوريا. كما ان الحزب أثبت جدارة في استنصاف الجماعات التي كانت تعد وتوسل السيارات المفخخة إلى لبنان، لكن هذا لا يعفي الحزب من المساءلة والمحاسبة بمعيار المقاومة ومشروعها:

هل أثبت الحزب ان توتره العسكري في سوريا لم يضعف من قدراته في مواجهة العدو، أو لم يصرّف أنظاره على الأقل خصوصاً ان الحزب كان صامتاً وساكتاً أثناء العدوان على غزة، مع علمنا ان نظرة الحزب إلى الصراع مع العدو هي نظرة استراتيجية بعيدة النظر ولا تخضع لانفعالات وحماسات الذين لا مني أو من غيري (وهذه ميزة القادة الذين لا يخضعون للانفعالات)؟ هل كان سكون الحزب شهر العدوان على غزة بدافع الدراية والحساب

الدقيق أم بسبب الانشغال والامتداد الطويل الباع؟ صحيح ان إعلام العدو في إسرائيل وفي أميركا ينظر بعين القلق إلى التجربة القتالية المتراكمة للحزب في سوريا، لكن هل كان حساب الريح والخسارة في صالح التدخل بعد ان نجح معسكر النفط والغاز في تقليص سمعة الحزب إلى حدود مذهبية طائفية ضيقة ومن دون ردّ فعال وناجح من قبل الحزب (إن الحزب يظن ان نفي الفتنة هو بمثابة القضاء عليها: أعلن حسن نصرالله وأد الفتنة الطائفية يوم 7 أيار، فيما هي سرعت بعد ذلك اليوم)؟

لكن حتى لو أيد المرء انخراط الحزب في القتال في سوريا لأسباب غير مذهبية، ألم يسئ الحزب نفسه إلى حججه نفسها عندما قبل بأن يلعب دوراً في حماية مزارات شيعة في سوريا؟ لماذا يكون هذا الدور مُلقى على عاتق الحزب، مثلاً هو مُلقى على عاتق تنظيم عراقي طائفي مثل «لواء أبو فضل العباس»؟ لماذا لم يقترح الحزب تطوع مؤمنين ممن بهمّم حتى لا يرتبط اسم الحزب بمهمة دينية (مذهبية) لا علاقة لها بمهمات مقاومة العدو الإسرائيلي؟ إن الحزب بزر تدخله من باب منع الفتنة لأن العصابات المعارضة، التي تأتمر بأمر النظامين السعودي والقطري، كانت تخطط لتسعير الفتنة لكن الفتنة لم تمنع بل زادت في لهيبها وقوتها. أي ان الحزب فشل في ما خطط له من وراء حماية المزارات الدينية.

إن ظهور الخطر الداعشي قد يزيد من قبول ذرائع الحزب وأسبابه للتدخل في سوريا لدى جماهير الطائفية في لبنان، لكن هذا لا يعزز الموقع المقاوم للحزب في المنطقة العربية. إن حلفاء إسرائيل العرب خططوا منذ عدوان 2006 من أجل تفويض سمعة الحزب العربية والإسلامية ونجحوا في ذلك أيما نجاح. إن التدخل في سوريا كان واحداً من العناصر